قراءة في كتاب :

مملكة الإنسانية.. وملك السلام

خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود- حفظه الله- شخصية قيادية فذه تتمتع بروح إنسانية راقية وصراحة ومصداقية عاليه وهو رجل إصلاح وسلام وتعاون وقائد جمع بين القوة والإعتدال ويواجه مسئولياته بشجاعة وصراحة وإصرار وهو يدرك مسئولياته كقائد للمملكة وكزعيم عربي وإسلامي وعالمي ويقوم بمهامه وأعماله في كل دائرة منها بانسجام وتكامل وتعتمد توجهاته وسياساته على الحوار والدبلوماسية النباءة، وتصب في صالح تعزيز السلام والتعاون العالمي.

لقد أكد خادم الحرمين الشريفين أصالة السياسة السعودية وعمق ثوابتها، وأضاف إليها لمسته الإنسانية الخاصة والمخلصة، والتي أكسبته مكانة عالية في عقول وقلوب مواطنيه، وتقدير قادة وشعوب العالم. وهو ينتمي إلى مدرسة سياسية عريقة، أرسى دعائمها المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود- رحمه الله، تتمتع بتقاليد حكم وسطية رصينة، رسخت عبر السنين، صقلتها التجارب، وتراكمت فيها الحكمة، منفتحة على مواطنيها وحريصة على مصالح مجتمعها وأمتها، همتها عالية وإيقاعها هادئ وفعال، تتميز بمنهج سياسي متوازن، تتمسك بثوابتها وتتفاعل مع العالم، تدرك الواقع وتتحرك باعتدال وإيجابية، محورها الإنسان والتنمية وتحرص على التعاون والسلام، ذات مصداقية عالية، فرضت احترامها على الجميع.

(مملكة الإنسانية وملك السلام) عنوان كتاب صدر باللغتين العربية والانجليزية عن مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز في طبعة الثانية مطلع هذا العالم ١٤٣٢هـ/٢٠١١م وهو من تأليف الدكتور وليد بن نايف السديري عضو الهيئة التعليمية بقسم العلوم السياسية بكلية الإقتصاد والإدارة جامعة الملك عبدالعزيز وقد أشرف على الكتاب الدكتور حسام بن عبد المحسن العنقري وجاء صدور هذا الكتاب بطبعتيه الأولى والثانية كنتاج فكري شارك في الندوات التي نضمتها مهرجان الجنادرية عامي ١٤٣١ و ١٤٣٢هـ حيث تناول المشاركون في تلك الندوات سياسة الملك عبدالله في ترسيخ منهج الحوار بين أتباع الأديان والثقافات والحضارات وقد أشار المؤلف في المقدمة إلي ما يهدف إليه هذا الكتاب بقوله:

ورغم أن أعمال خادم الحرمين الشريفين الجليلة معروفة، إلا أنها غالبا ما تصلنا بصورة متفرقة وجزئية، قد لا يتمكن البعض من إدراك عمقها؛ لذلك يهدف هذا الكتاب إلى إعطاء القارئ الكريم صورة شاملة وموجزة توضح حقيقة أبعاد وحجم الانجازات والأعمال المشرفة التي قام بها- حفظه الله- على مدى السنوات الماضية.

وقد تناول الدكتور وليد السديري في كتابه هذا أبرز مبادرات خادم الحرمين الشريفين وجهوده المستمرة على المستوى العالمي في تأصيل الحوار والتفاهم بين الأديان والثقافات، وتعزيز السلام والتعاون العالمي، ومكافحة الإرهاب، وتوفير الطاقة وحماية البيئة ودعم استقرار الاقتصاد العالمي، ومساعدة الدول النامية ومكافحة الفقر. وكذلك أبرز مبادراته وجهوده على المستوى الوطني والتي تنسجم وتتكامل مع جهوده الدولية. وهذه الأعمال تشكل في مجملها وحدة مترابطة تعبر عن أصالة نهجة وسياسته في الحوار، وتؤكد أن خادم الحرمين الشريفين هو ملك السلام وقائده مملكة الإنسانية.

تأصيل الحوار بين الأديان والثقافات والحضارات:

ذكرى البيعة ٦

بادر خادم الحرمين الشريفين لتبني نهج الحوار بين أتباع الأديان والثقافات والحضارات بهدف «إحياء القيم الإنسانية وترسيخها في نفوس الشعوب والأمم، التي تتكون منها الأسرة البشرية. وهذه المبادرة أصيلة ومخلصة في منطلقاتها، تأتي في إطار اعتماده الحوار كأساس لسياسته، وهي تضيف رصيداً للأمة، وتسجل موقفاً معتدلا وواضحاً، وتشكل مرجعية تحتاجها وتستفيد منها مستقبلاً.

وما يميز هذه المبادرة هو أنها لم تقف عند مستوى الطرح الفكري، بل تقدمت بخطوات عملية حثيثة لتحقيقها في أرض الواقع، فتدرجت بمنهج منظم من المستوى المحلي إلى الإسلامي فالعالمي، ومن المجال السياسي إلى المجال الثقافي والاجتماعي، ومن نطاق مؤتمرات الحوار إلى نطاق العمل المؤسسي الثابت.

وقد سارت هذه المبادرة بمساريها المتوازيين، السياسي والثقافي الاجتماعي. وعقدت المؤتمرات الدولية للحوار على مستوى العالم الاسلامي والعالمي كما قام خادم الحرمين الشريفين بعدة زيارات خارجية للعديد من دول العالم من أجل تعزيز مبدأ الحوار .

تعزيز السلام والتعاون العالمي:

تفاعل خادم الحرمين الشريفين بايجابية مع كل الجهود الدولية والإقليمية التي تبذل لتعزيز السلام والتعاون الدولي في المنطقة والعالم . وهو يمثل زعامة ومرجعاً رئيسياً يطلب رأيه ودعمه للجهود الدولية. كما أن الملك عبدالله يتبنى دبلوماسية فاعلة تجاه قضايا السلام والتعاون الدولي والإقليمي ، وله مبادرات وجهود متميزة في هذا المجال على المستوى العربي والإسلامي والعالمي تؤكد تسامحه وسعيه لاحتواء الخلافات والنزاعات ، وأصالة توجهه للحوار والتفاهم وأكبر مثال على ذلك جهوده المستمره في دعم الحقوق الفلسطينية، والتخفيف

من معاناة الشعب الفلسطيني وفي توحيد صفوف قياداته وإنهاء الفرقة بينهم كما كان في اتفاق مكة عام ٢٠٠٧م.

كذلك تعزيزه للتفاهم والتعاون بين الشعوب والدول العربية والإسلامية ودعمه للمنظمات العربية والإسلامية.

كذلك تعزيزه للتفاهم والتعاون العالمي ودعمه مختلف المنظمات الدولية وقد أنشأ -حفظه الله- (مؤسسة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للأعمال الخيرية والإنسانية) في سبتمبر عام ٢٠١٠م.

مكافحة الإرهاب:

اعتبر خادم الحرمين الشريفين أن نشر ثقافة السلام ومبادرات الحوار فيما بين الثقافات والشعوب، وحماية حقوق الإنسان، وسيادة القانون تعد عناصر أساسية في أي إستراتيجية فعالة لمكافحة الإرهاب والتطرف، وبذل- حفظه الله- جهود وطنية ودولية مشهودة في مكافحة الإرهاب و(تجفيف منابعه).

فلقد حظيت جهود المملكة في مكافحة الإرهاب على إشادة وتقدير القادة والمتخصصين والمؤسسات الدولية المعنية. وكمثال على ذلك. تحقيق المملكة المركز الأول عربيا، وأحد المراكز العشرة الأولى في ترتيب مجموعة العشرين، في مجال التزامها بمكافحة غسيل الأموال وتمويل الإرهاب ، وذلك وفق تقرير «مجموعة العمل الدولية، (الفاتف) لعام ٢٠١٠م.

توفير الطاقة وحماية البيئة ودعم استقرار الإقتصاد العالمي.

قام خادم الحرمين الشريفين بدور قيادي في تعزيز التعاون الدولي فيما يتعلق بتوفير الطاقة وحماية البيئة، حيث يعمل -حفظه الله- على مد جسور الحوار بين الدول المنتجة والدول المستهلكة، وحفظ مصالحهم المشتركة، وقيام الجانبين بمسؤولياتهما على الدوام تجاه الدول النامية، ومكافحة الفقر، والاهتمام الحقيقي بحماية البيئة، والتعامل مع المتغيرات المناخية، ويعمل أيضا على ترسيخ السياسة السعودية المعتدلة والمتوازنة التي تسعى إلى توفير إمدادات الطاقة واستقرار سوق النفط العالمي ، وذلك رغم ماتكلفه هذه السياسة من تضحيات، ومنها تكلفة إبقاء طاقة فائضة تقدر بأربعة ملايين برميل سعيا لتدعيم الرخاء العالمي بطريقة تحفظ مصالح جميع الأطراف. كما أنه يساهم بفاعلية وايجابية من خلال عضوية المملكة في (مجموعة العشرين) الدول الأكبر اقتصادا. في العالم- في صياغة نظام اقتصادي عالمي يحقق نموا اقتصاديا عالميا متوازنا ومستداما، ويحافظ على مصالح جميع الدول المتقدمة والنامية.

مساعدة الدول النامية ومكافحة الفقر:

يرى خادم الحرمين الشريفين أن مساعدة الدول النامية، ومكافحة الفقر في العالم واجب إنساني، وهوماينادي به في كافة المحافل الدولية، وله شخصيا وللمملكة مبادرات وسجل عملي واضح ومشرف تجاه ذلك. ورغم أن المملكة العربية السعودية تعد من الدول النامية، وتشهد نمواً سكانياً كبيراً يتطلب

احتياجات مالية متزايدة لتغطية تكاليف التنمية البشرية والتجهيزات الأساسية وبناء القدرات الذاتية، فقد اهتمت بالغ الاهتمام بمساعدة الدول الأخرى الأكثر احتياجاً وبما يتجاوز بمراحل النسب الدولية المنشودة.

وهذه بعض الأمثلة على ذلك.

- تجاوز إجمالي المساعدات التي قدمتها المملكة إلى الدول النامية خلال الفترة من ١٩٧٣ إلى ٢٠٠٩م مبلغ ١٠٠ مليار دولار استفاد منها ٩٥ دولة نامية، وهذا المبلغ يمثل ٤٪ من إجمالي الناتج الوطني للمملكة، وهي نسبة تمثل أضعاف النسبة المستهدفة للعون الإنمائي من قبل الأمم المتحدة (البالغة ٧٠٪) والنسبة التي تقدمها الدول الكبرى.

- تأكيد التقرير الصادر عن مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشئون الإنسانية بأن المملكة العربية السعودية تصدرت دول العالم في مجال التبرعات لتمويل عمليات الإغاثة الإنسانية عام ٢٠٠٨م.

- مساهمة المملكة بمبلغ مليار دولار في صندوق مكافحة الفقر في العالم الإسلامي، إلى جانب مساهمتها في رؤوس أموال ١٨ مؤسسة وهيئة مالية دولية.

- مبادرة خادم الحرمين الشريفين بتخصيص ٥٠٠ مليون دولار لمشاريع التعليم في الدول النامية.

- تنازل المملكة عما يزيد عن ٦ مليار دولار أمريكي من ديونها المستحقة على الدول الفقيرة، ومساهمتها بكامل حصتها في صندوق مبادرة تخفيف الديون لدى صندوق النقد الدولي.

- تقديم ٥٠٠ مليون دولار لبرنامج الغذاء العالمي لمواجهة ارتفاع أسعار الغذاء، مما أسهم في مساعدة ٦٢ دولة نامية في مختلف أنحاء المعمورة في تحقيق أمنها الغذائي.

- حصول خادم الحرمين الشريفين على جائزة (بطل المعركة ضد الجوع) (٢٠٠٩م) التي يقدمها برنامج الأغذية العالمي لدعمه السخي في دعم نشاطات البرنامج.

- مبادراته في الدعم المعنوي والمادي في الحالات الإنسانية وحالات الكوارث.

- اهتمامه الشخصي بالحالات الإنسانية للتوائم السيامية ومعاناتهم، وهو ما جعل المملكة من أبرز المراكز الطبية العالمية التي تجرى فيها عمليات فصل التوائم.

مناشدة خادم الحرمين الشريفين المستمرة في اجتماعات مجموعة العشرين، بأن تقوم الدول الغنية والمؤسسات الاقتصادية الدولية بمسئولياتها تجاه دعم الدول النامية، وخاصة الفقيرة منها، وتخفيف آثار الأزمة المالية العالمية على اقتصادياتها.

- تأكيد المملكة المستمر لاهتمامها الكبير بالجهود الرامية لتحقيق (اهداف الألفية الإنمائية) التي قررتها منظمة الأمم المتحدة قبل عام ٢٠١٥م . والتي تركز على الحد من الفقر ومكافحة الأمراض المعدية التي تفتك بالبشرية.

المبادرات والجهود المستمرة على المستوى الوطني:

خادم الحرمين الشرفين بطبيعتة قائد إصلاحي ، ومنهج الحوار أصيل في فكره وممارسته ومبادرته وجهوده على المستوى الإقليمي والدولي ماهي إلا امتداداً لمبادراته وجهودة الإصلاحية على المستوى الوطني، وانعكاساً لقناعاته وإخلاصه لتحقيق الخير لمواطنيه وللبشرية جمعاء. ومن أبرز سياساته على المستوى الوطني والتي تنسجم وتتكامل مع جهوده الدولية، مايلي (وذلك على سبيل المثال لا الحصر):

١- عنايته بالحرمين الشرفين وخدمة ضيوف الرحمن وتسهيل أداء مناسكهم، وتبنيه المشاريع الطموحة لتوسعة وتطوير الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة والخدمات والبنية الأساسية التابعة لها، ومن المشاريع القائمة والمستكملة في السنوات الأخيرة مايلي:

- مشروع توسعة الساحات الشمالية والشمالية الغربية للمسجد الحرام، وهو

مايضيف ٤٠٠ ألف متر مربع لمساحة المسجد، ويضاعف طاقته الاستيعابية.

- مشروع تحسين عمارة المسجد النبوي الشريف الذي أضاف مبنىً جديداً يحيط بشمال شرق المسجد، وزاد توسعة ساحاته وتغطيتها بمظلات تقي المصلين من الشمس.

ومن المشاريع كذلك التي تخدم عموم حجاج بيت الله الحرام وزوار المسجد النبوي الشريف:

- مشروع توسعة المسعى ومشروع جسر الجمرات ومشروع قطار المشاعر وقطار الحرمين الشريفين ومشروع سقيا زمزم وتوسعة مطار الأمير محمد بن عبدالعزيز الدولي بالمدينة المنورة.

٢- رعايته المبكره وتشجيعة لثقافة الحوار والتفاهم وذلك خلال « المهرجان الوطني للتراث والثقافة ».

٣- سياسته في مكافحة الإرهاب التي تميزت بموازنة تعاطيها مع الإرهاب بين الحوار الفكري والحزم الأمني.

٤- عنايته بالتوعية في ثقافة حقوق الإنسان على المستوى الفكري والاعلامي والتعليمي ورعايته لها بإنشاء «جمعية حقوق الأنسان «الأهلية و«هيئة حقوق الإنسان» الحكومية.

٥- عنايته بمعالجة الفقر، واهتمامه الشخصي بتحسين أوضاع الفئات الاجتماعية الأقل حظاً والأكثر حاجةً من أبنائه المواطنين والمواطنات، ومن أبرز أعماله في هذا المجال:

- زيارته- حفظه الله- (في نوفمبر، ٢٠٠٢م) - حين كان ولياً للعهد في وقتها لبعض الأحياء الفقيرة في العاصمة الرياض، والتي ساهمت في إبراز مشكلة الفقر للعلن، والعمل على معالجتها.

- إنشاء «الصندوق الخيري المكافحة الفقر» (ديسمبر،٢٠٠٢م) بدعم كبير من الدولة.

- اعتماد «الإستراتيجية الوطنية لمعالجة الفقر»(أبريل، ٢٠٠٣م) .

- إنشاء «المؤسسة الخيرية لرعاية الأيتام» (مايو، ٢٠٠٣م) .

- مضاعفة مخصصات الضمان الاجتماعي، والجمعيات الخيرية .

- إنشاء«مؤسسة الملك عبدالله بن عبدالعزيز لوالدية للإسكان التنموي»(أكتوبر، ٢٠٠٣م)، التي تهدف إلى تأمين مساكن ملائمة للفئات الأكثر حاجة في المجتمع السعودي، والقيام بمشاريع خيرية لها علاقة بالإسكان. واعتمدت إنشاء ١٦٠٠٠ وحدة سكنية بمبلغ ٤و٢ مليار ريال.

- إقرار«نظام الضمان الاجتماعي» (يوليو، ٢٠٠٦م)، وزيادة مخصصاته لتطوير خدماته ، فاستحدثت مشاريع جديدة مثل فرش وتأثيث الإسكان الشعبي، وكذلك مشاريع الأسر المنتجة، وتقديم الدعم المادي والمساعدة للأسر الفقيرة بهدف تحويلهم من أسر معولة إلى أسر عائلة قادرة على العمل والإنتاج .

- اعتماد ميزانية ضخمة قدرت بعشرة مليارات ريال وخصصت للإسكان الشعبي (مايو، ٢٠١٠م).

- يجري حالياً العمل على تحديث «الإستراجية الوطنية لمعالجة الفقر» وتحويلها إلى « إستراتيجية وطنية للإنماء الاجتماعي» ويأتي تغير المسمى سعياً للدخول في مرحلة جديدة من مكافحة هذه الظاهرة، عبر تنمية المجتمعات المحلية، وتحديداً الفقيرة منها، وتمهيداً لإنشاء هيئة وطنية عُليا للإنماء الاجتماعي كما يتوقع.

- اهتمامه بالعنصر البشري كمحور لعملية التنمية، والدفاع باتجاه تحقيق المجتمع والاقتصاد القائم على المعرفة، وخاصة الاهتمام بمجالات التعليم الذي يحظى بنسبة ٢٥٪ من ميزانية عام ٢٠١٠ م ونسبة ٢٦٪ من ميزانية ٢٠١١م وهما الأكبر في تاريخ المملكة، وتطوير نوعية التعليم وتوسيع طاقته الاستيعابية، وتشجيع العلوم والتقنية والبحث العلمي، ومن الأمثلة على ذلك:

- برنامج خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز للإبتعاث الخارجي (٢٠٠٥م)، وقد بلغ عدد المبتعثين في البرنامج في مختلف الجامعات العالمية قرابة ١١٠ آلاف طالب (في فبراير، ٢٠١١).

- برنامج المنح الدراسية الداخلية للجامعات والكليات الأهلية (٢٠١٠م).

- زيادة عدد الجامعات الحكومية السعودية إلى ٢١ جامعة ذات طاقة استيعابية كبيرة، وموزعة جغرافيا في أنحاء المملكة، ودعم إنشاء الكليات والجامعات الأهلية بتقديم التسهيلات والقروض والمنح المالية، التي بلغ عددها ٨ جامعات و٢٠ كلية خاصة (في ٢٠١٠ م).

- إنشاء ٢٠ كلية تقنية جديدة في أنحاء المملكة، وتحديث مؤسسات التعليم الفني والتدريب المهني القائمة.

- إنشاء جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية، كجامعة عالمية للدراسات العُليا تهدف لتحفيز التقدم العلمي الوطني والإقليمي والعالمي، وهي تقدم منحاً دراسية لطلاب من جنسيات مختلفة، وتوظف علماء وباحثين متميزين عالمياً، وتعتبر قناة للحوار والتفاهم ونموذجاً للتعاون الدولي لخير الإنسانية.

- استمراره في دعم القطاع الصحي وتوسعة خدماته، ليبلغ عدد المستشفيات التابعة لوزارة الصحة٢٤٤ مستشفى، بسعة سريريه بلغت ٣٣٢٧٧ سريراً، وعدد ٢٠٣٧ مركزا صحيا (وذلك في عام ٢٠٠٩م)، مقابل عدد ٢١٣ مستشفي بسعة ٣٠٣١٧ سرير، وعدد ١٩٠٥ مراكز صحية للرعاية الأولية(في عام ٢٠٠٦ م).

وهي أرقام تعكس نمواً كبيراً(أكثر من ١٪) خلال ثلاث سنوات، ناهيك عن مشاريع ٢٠١٠ م والمشاريع تحت الإنشاء في ٢٠١١ م. بالإضافة لدعم المستشفيات والمستوصفات الأهلية، والدعم الكبير لمؤسسات التعليم الصحي والطلاب والطالبات الدارسين فيها.

***عن كتاب مملكة الأنسانية وملك السلام . تأليف د. وليد بن نايف السديري**